الآية الأولى

" وَمَا آتَاكُمْ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا "

الناظر لهذه الآية فى ضوء آيات القرآن المبين ، واستدلالات العقل باليقين ، سيجد أن المقصود بالإتيان فيها هو القرآن فقط ، ولا علاقة البتة للآية بتأويلات المتسننة والمتشيعة ، والدليل على ذلك أن الناظر للآية لابد له من واحدة من اثنتين : إما التقيد بخصوص السبب ، أو الأخذ بعموم اللفظ ، وللبيان :

أولاً : التقيد بخصوص السبب .

فالناظر فى آيات الكتاب يلزمه لكى يفهمها فهمًا صحيحًا : أن يتجرد من أى هوى . وألا يلجأ للتأويل إلا إذا اقتضت الحاجة . وأن ينظر إلى سياق الآيات ككل ، فلا يجزئها أو يُقطعها لتوافق شيئًا ما فى نفسه . وأن يربط الآية بغيرها من الآيات لكى تتحقق وحدة الموضوع .

ولو نظرنا للآية فى سياقها الذى أنزلها الله فيه لوجدنا أن السورة بدأت بالإخبار بتسبيح ما فى السماوات والأرض لله تعالى ، ثم الإخبار بأن الله سبحانه هو الذى أخرج كفرة أهل الكتاب من ديارهم . فكان أمر الله تعالى بأن قذف الرعب فى قلوب هؤلاء الكفرة إلى درجة أنهم صاروا يُخربون بيوتهم بأيديهم .

ثم إن الله تعالى قد كتب على هؤلاء الكفرة من أهل الكتاب : الجلاء فى الدنيا ، وعذاب النار فى الآخرة . وهذا الجلاء والتخريب قد ترتب

عليه وجود فيء .

والفيء هنا حدث بدون إيجاف خيل (أى غارات الخيل) أو إبل ، وإنما حدث بتسليط الله تعالى لرسله ، فهو فى الحقيقة إفاءة من الله على رسوله ﷺ :

" وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ " .

فهذا الذى أفاءه الله تعالى على رسوله فهو : للرسول ﷺ ، ولذى القربى ، واليتامى ، والمساكين ، وابن السبيل .

هذا هو ما شرعه الله للناس . كما بَيَّنَ سبحانه بأن المقصود من هذا التقسيم هو : ألا يكون المال متداولاً بين الأغنياء فقط :

" مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ وَمَا آتَاكُمْ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا " (الحشر : ٧) .

إذن فقد جاء قول الله تعالى :

(وَمَا آتَاكُمْ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا) .

فى سياق الكلام عن الفيء الذى سيختلف حكمه هذه المرة عن المرات السابقة .

فيا أيها الناس (مَا آتَاكُمْ الرَّسُولُ) من أوامر وأحكام (فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ) من نواهٍ (فَانْتَهُوا) .

ثانياً : عدم التقيد بخصوص السبب ، والأخذ بعموم اللفظ .

فلو افترضنا أن الأخذ بعموم اللفظ هو الأصح فسيكون المقصود بـ (وَمَا آتَاكُمْ) هو : الذى أُنزل على النبى (دون تحديد) ، وسيخدم هذا قضيتنا

من خلال الحقائق العلمية القرآنية الآتية :

الحقيقة الأولى : ماسيأتى به الرسول هو الكتاب :

فمن المعلوم أن كل لفظ من ألفاظ الكتاب قد وُضِع فى مكانه بدقة وإحكام لا يُبارى . فلفظ الإتّيان فى قوله تعالى (وَمَا آتَاكُمْ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ) يُبين أن الرسول أتى بشيء من عند الله ، **فهى رسالة من الله إذن ستأتى مع الرسول** .

عدم تجاوز النصّ للتأويل بلا مجوز .

فالنصوص القطعية قد بينت أن الذى أتى به الرسولﷺ هو القرآن ، ووضحت هذه الجزئية فى مواضع عدة من الكتاب ، ومن ذلك :

١ ـ جاءت هذه المسألة بشكل واضح فى قوله تعالى :

" وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِنْ لَدُنَّا ذِكْرًا " **(٩)** ، والذكر هو الكتاب :

" إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ " **(١٠)** .

" أَوَعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا " **(١١)** .

ولم يقل سبحانه (مثلاً) : " **وقد آتيناك من لدنا سنة** " ، أو " **إنا نحن نزلنا السنة** " !

فما الذى جعل الإتيان فى الآية يشمل الحديث كما زعم الزاعمون . ألا يخشون الله تعالى ، ويخافون يومًا آتيًا لا ريب فيه مجموعًا له الناس ؟!

وما الذى جعلهم يتعدون النصّ الربانى فى هذه الآية (وغيرها من الآيات بالطبع) ويُقحمون كلامًا فى معناها ليس منها ؟!

---

٩ ـ سورة (٢٠) طه : ٩٩ .
١٠ ـ سورة (١٥) الحجر : ٩ .
١١ ـ سورة (٧) الأعراف : ٦٣ .

هل قال لهم الله تعالى (مثلاً) : إنى قد أذنت لفلان أن يُضيف لكلامى المعانى التى سيقولها لكم ؟!!

٢ ـ وكذلك فقد وَضّح سبحانه هذه المسألة فى قوله تعالى :

" وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنْ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ " .

والذى يتضح منه أن الذى أُوتيه الرسول ﷺ هو السبع المثانى والقرآن العظيم . ولم يقل سبحانه (مثلاً) : " **ولقد آتيناك السنة والقرآن العظيم** " !

فلماذا كان المقصود فى الآية (وما آتاكم) (بزعم المفترين) هو السنة ، ومع ذلك فقد أغفل الله (بكذبهم) ذكرها تماماً على سبيل التصريح فضلاً عن التلويح ؟!

هل يريد الله (وحاشاه) **أن تختلف الأمة فى مثل هذا الأصل الخطير** ؟!

الحقيقة الثانية : استمرارية الخطاب :

فمن البدهى أن يكون الخطاب فى قوله تعالى (**وَمَا آتَاكُمْ**) مستمر على مرّ الأجيال ، وبالتالى فيكون مضمون الرسالة محفوظ ، وثابت من جيل إلى جيل ، وهذا لا يتوفر إلا فى كتاب الله المحفوظ به سبحانه . ولا يصح أن يُقال بترك هذه الرسالة لكى يُضيعها ، أويدلسها ، أويُحققها أحد ، أو يستدرك عليها مستدرك ، أو يختلف بشأنها الخلف ، ويصيرون بسببها فرقًا ومذاهب ! !

ولو انتقينا فرقتين فقط من الفرق التى افترقت إليها الأمة ـ كالسنة والشيعة ـ لوجدنا أن كل فرقة لها رواتها ، وفن دراية خاصّ بها ، وجرح وتعديل يختلف عما هو عند الأخرى ، وبالتالى اختلفت الروايات عند كل من الفرقتين ، وكذلك الفقه المستقى من هذه الروايات .

فلا يُعقل أن يقال : إن المقصود فى اللفظ (وَمَا آتَاكُمْ) هي " الروايات "، مع حدوث هذا الاختلاف . وإنما الموحد عند جميع المسلمين هو القرآن فقط . ويكون هو المقصود فى اللفظ (وَمَا آتَاكُمْ) !

ولو كان كما قالوا لكان المفترض هو :

- أن يأتى نصٌّ بذلك .
- وأن يكون مفصلاً ، ومحددًا ؛ فيقال مثلاً :

" **وما أتاكم به رواة أهل السنة فخذوه** " ، أو :

" **وما أتاكم به رواة أهل الشيعة فخذوه** " .

لا أن يُترك الناس فى حيرة من أمرهم لا يعرفون أى فريق من الرواة يتبعون أو يتجنبون .

الحقيقة الثالثة : أن مايأتى به الرسل عموماً هو الكتاب .

١ ـ فعندما قال ربى سبحانه :

" فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ " **(١٢)** .

لم يترك الناس فى حيرة لا يدرون ماهية هذا الهدى ، وإنما قال جلّ فى علاه :

" يَابَنِي آدَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي فَمَنْ اتَّقَى وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ " **(١٣)** .

فوضّح سبحانه أن الهدى فى الآيات لا الحكايات !

---

١٢ ـ سورة (٢) البقرة : ٣٨ .
١٣ ـ سورة (٧) الأعراف : ٣٥ .

٢ ـ وعندما أرسل المولى سبحانه **موسى** إلى بنى إسرائيل فقد أرسله بالكتاب :

« وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ » **(١٤)** .

وكان هذا الكتاب هو الهدى :

« وَآتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِبَنِي إِسْرَائِيلَ » **(١٥)** .

والكتاب أيضاً هو النور ، والحكمة ، والضياء ، والفرقان ، والذكر . الخ، كما قال سبحانه :

« وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَاءً وَذِكْرًا لِلْمُتَّقِينَ » **(١٦)** .

٣ ـ وذكر المولى سبحانه **نفس الشيء** مع نبيه **إبراهيم** عليه السلام :

« فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا » **(١٧)** .

٤ ـ وكذلك كان الحال مع **بقية الأنبياء :**

« وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ » **(١٨)** .

فإذا عرفنا من هذه الحقيقة أن كل ما يأتى به الرسل هو الكتاب ، فرسول الله ﷺ شأنه شأن بقية الرسل ، سيأتى هو أيضًا بالكتاب .

ولعل هناك من يقول : قد ذكرت الآيات ورود الحكمة مع الكتاب ، والحكمة هى السنة كما قال الراوى الشافعى . وهذا سيتبين فساده بعد صفحات قليلات فلا تبتئس .

ومن الحقائق الثابتة نصًّا أيضًا :

---

١٤ ـ سورة (٢) البقرة : ٨٧ .
١٥ ـ سورة (١٧) الإسراء : ٢ .
١٦ ـ سورة (٢١) الأنبياء : ٤٨ .
١٧ ـ سورة (٣) آل عمران : ٨١ .
١٨ ـ سورة (٣) آل عمران : ٨١ .

فالواضح من نصّ الآية هو أن **الرسول سيأتى بما يتعاقب فى الأجيال** ، وبالتالى فسيصير تراثًا . ولكن الذى يُورَّث دومًا للأجيال هو الكتاب :

١ ـ ما ذكره سبحانه عن **بنى إسرائيل** :

" فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ " **(١٩)** ، وكذلك :

" وَأَوْرَثْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ " **(٢٠)** .

٢ ـ ووضح سبحانه أن الذي ورثه **الناس** من عموم رسلهم وأنبيائهم هو الكتاب ، فقال :

" وَإِنَّ الَّذِينَ أُورِثُوا الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ "**(٢١)** .

٣ ـ وعندما دعا **زكريا** ربه أن يرزقه بالغلام برر ذلك فقال :

" يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ " .

ثم بَيَّن سبحانه أن الميراث هو الكتاب فقال :

" يَايَحْيَى خُذْ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا " **(٢٢)** .

٤ ـ بل إن الله تعالى وضح في محكم التنزيل أن توريث الكتاب لا يكون إلا **لمن يصطفى من عباده** فقال وقوله الحق :

" ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا " **(٢٣)** .

ولو كان هناك شيئٌ غيره كالروايات لكان هؤلاء هم الأولى بها ،

---

١٩ ـ سورة (٧) الأعراف : ١٦٩ .
٢٠ ـ سورة (٤٠) غافر : ٥٣ .
٢١ ـ سورة (٤٢) الشورى : ١٤ .
٢٢ ـ سورة (١٩) مريم : ١٢ .
٢٣ ـ سورة (٣٥) فاطر : ٣٢ .

ولذُكِرَ ذلك !

إذن فالذي أُوتيه النبيون كلهم بمن فيهم محمد ﷺ هو الكتاب ، وهو الميراث ، وهو الهدى ، والنور، والحكمة، والضياء ، والفرقان . . الخ . فلماذا لم يذكر الله تعالى توريث الروايات (السنن) ولم يقل سبحانه مثلاً :

" ثم أورثنا الكتاب والسنة الذين اصطفينا من عبادنا " ؟!

الحقيقة الخامسة : كشف مغالطات الرواة فى تأويل الآية

فلو صدقنا الخلف فى انحرافهم بمعنى الآية الظاهر إلى مايوافق هواهم وقلنا مثلهم (زورًا) إن الآية (وَمَا آتَاكُمْ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا) تعنى إثبات حُجية السنة (الروايات) على ماهي عليه الآن من الصلاحية للتشريع ، ونقل الغيبيات ، ونسخ القرآن والهيمنة عليه، **لوجدنا مغالطات خطيرة** قد حدثت دون أن يلتفت إليها أحد ، **ومن ذلك :**

المغالطة الأولى : تحول المأتى به من شئ محدد إلى أشياء غير محددة :

فلو نظرنا إلى الروايات التى سموها بـ " السنة " لوجدناها (بعكس القرآن) **مختلفة** فى الموضوع الواحد ، **ومختلفة** فى القبول ما بين إمام وإمام آخر ، فما يصح عند الشيعى لا يصح عند السنى ، وما يصح عند الإمام السنى كابن ماجه أو الترمذى لا يصح عند إمام سنى آخر كالبخارى أو مسلم وهكذا . وما يحكم به الشافعى عكس ما حكم به مالك ، بل ماحكم به الشافعى نقضه جله لتغير رصيده من الروايات .

مع أن الاقتصار فى معنى (وَمَا آتَاكُمْ) على الرسالة (أى القرآن) يتفق مع التحديد المطلوب للمأتى به !

فأية مغالطة هذه التى ينتج عن اتباعها تفريق الأمة ، بل وتفريق

كل فرقة إلى مذاهب من داخلها **(٢٤)** بدلاً من تجميع الناس حول هذا الشئ المحدد الذى أتاه الله لرسوله ليؤتيه للناس ؟!

إننى كمؤمن " بالقرآن وحده " أؤمن تمامًا بأن النبى ﷺ كان له سنة ، وأن سنته ماكانت أبدًا لتخالف القرآن ، بل إن سنته ﷺ هى سنة من قبلنا من مسلمى اليهود ومسلمى النصارى وغيرهم ، ولا تخالف كتب الله تصديقًا لقوله سبحانه :

﴿ يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ ﴾ **(٢٥)** .

ثم إن **التناقضات** المذكورة والتى شملت كل جزئيات المذاهب هى **علامات وإشارات لكون ذلك ليس من عند الله تعالى** القائل عن كتابه :

﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ **(٢٦)** .

المغالطة الثانية : تحول الآتى من شخص النبى ﷺ إلى أشخاص الرواة .

فلو نظرنا للتحول الذى طرأ على معنى الآية لوجدناه تحول بدلاً من :

- **وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ** - إلى : **" وما آتاكم الرواة فخذوه "** ،

مع الفارق الواضح بين رسول منصوص عليه فى الكتاب ، ومنصوص على أمانته ظاهرًا وباطنًا ، وبين رواة منعدم ذكرهم بالكتاب .

قارن قول الله عن رسوله :

---

٢٤ ـ كما تفرق أهل الروايات فى الفقه إلى حنفية ، وشافعية ، ومالكية ، وحنبلية ، وأوزاعية ، وظاهرية ، وزيدية ، وأباضية . . . الخ ، وتفرقوا فى العقيدة أيضًا إلى حنابلة ، وأشاعرة ، وماتريدية ، وصوفية ، وجهمية ، ومعتزلة . . الخ .

٢٥ ـ سورة (٤) النساء : ٢٦ .

٢٦ ـ سورة (٤) النساء : ٨٢ .

﴿ وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لاَ يَرْجُونَ لِقَاءنَا ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَـذَا أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِن تِلْقَاء نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلاَّ مَا يُوحَى إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾

ونصّه سبحانه على أنه ﷺ لا يستطيع أن يزيد فى الرسالة :

﴿ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ ۞ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ۞ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ ۞ فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ ﴾ .

وبين رواة لم يُنَصّ عليهم ، ولا على أمانتهم الظاهرة فضلاً عن الباطنة . . الخ !

ولو تخيلنا أن شركة مقاولات (مثلاً) تقدمت بعطاء لإنشاء خط مياه بين القاهرة وأسوان ، وقالت فى هذا العطاء إن المواسير التى ستقوم بتركيبها هى من نوع عادى لا يتحمل الضغط ، وغير معالج للتعامل مع الطفيليات وما إلى ذلك ، ولكنها ستقوم بتركيب مواسير من نوعية خاصة تتحمل الضغوط ، ومن مادة ممتازة لا تتفاعل مع الطفيليات . . الخ وذلك لمسافة مئة متر فقط من الخط . فماذا سيكون تعليق كل الفنيين والعقلاء ؟!

وما هى قيمة هذه المئة متر ؟!

وعليه ؛ ماهى القيمة الحقيقية لكون الرسول لا يُبدل من كلام الله شيئًا ، وأمين على الرسالة ، ولا يستطيع أن يتقول على الله أى أقاويل ولكن سيروى عنه عشرات الآلاف من الرواة الذين يمكن أن يكذبوا مثل عثمان بن أبى شيبة ، وإسماعيل بن أبى أُويس شيخا البخارى ومسلم وغيرهم ، ويختلفوا فى رواياتهم كرواة السنة ورواة الشيعة . . الخ ؟!

ويترتب على هذه المغالطة مغالطة أخرى وهى :

المغالطة الثالثة : تحول المأتى به من القطع إلى الظن .

فمما لاشك فيه أن من يبلغه القرآن فى أى مكان وزمان فسيبلغه بنفس قطعية ثبوته .

فإذا أضفنا إلى ذلك أن مُنَزِّلَهُ سبحانه قال عنه إن منه آيات محكمات هن أم الكتاب ، أى معظمه ، فقد علمنا بالتالى أن كل من سيبلغه الكتاب سيكون على علم صحيح ، وبلاغ قطعى من الله ، وفي هذا البلاغ تفاصيل الدين القطعية الدلالة .

ونظرة فى العالم المحيط نجد أن بلاغ القرآن يصل للجميع ، وهكذا كان ، وكونه كتاب واحد سهل من انتشاره . فإذا أضفنا لذلك اقتحامه للعقول وضوحًا ، فسنعجز عن قياس حجم النعمة المترتبة على وجوده فى حياتنا .

وفى المقابل فلو نظرنا إلى تعريف الحديث الصحيح (السنة) فسنجد أنه هو : " رواية العدل ، الضابط ، بسند متصل من أوله إلى منتهاه ، بغير شذوذ ولا علة " ، ولو فحصنا هذا التعريف بدقة لوجدنا :

١ ـ **أن العدالة** (التوثيق) **هي مجرد ظن** ، ولكى يصل الناظر إلى القطع بالعدالة لتوجب أن يعلم السرائر ، وأن يشق الصدور ليعلم خفاياها !

٢ ـ **أن الضبط** (الحفظ) **هو مجرد ظن** ، ولكى يصل الناظر إلى القطع بالضبط لتوجب ألا يكون هناك نسيان أو وهم أو اختلاط (فقدان الذاكرة) تدريجى أو مفاجئ !

٣ ـ **أن الاتصال بين الرواة** فى العهد الأول (أيام التابعين) هو كله **من باب** تحسين **الظن** .

٤ ـ **أن الشذوذ والعلة** تنقسم إلى ما يخص السند (ويلزم له جمع طرق الروايات ، وهذا لم يحدث إلا بنسبة قليلةجدًا) ، وما يخص المتن (وواضح لكل ذى لب أن علله وشذوذه لا تزال قابعة إلى اليوم تنتظر من

يكشف عنها ولكن بعقل ووعى يختلفان عنه عند الخلف الذين استسلموا لصحة السند وفقط) .

وهكذا نرى أن الحديث الصحيح أو السنة الصحيحة هي ضرب من ضروب الظنون ، أو هي ظن على ظن على ظن !

علمًا بأن وقوع الظن فى واحدة من الأربعة السابقة (وهى العدالة ، والضبط ، والاتصال ، والشذوذ والعلة) يكفى لكى يطلق على الروايات أنها ظنية ، وعلمًا أيضًا أن العدالة والضبط لا مناص وأن يكونا ظنيين .

إذن فقد تحول الدين (لو صح أن السنة تُشرع وتأتى بالغيبيات كما هي عليه الآن عند الخلف) **من درجة القطع** فى القرآن المحفوظ بالله ، والمفصل والمبين **إلى درجة الظن** . **ومن شيء محدد** (كما هو ظاهر بنص الآية وغيرها من الآيات) **إلى أشياء غير محددة** .

ومن كونه كلام الرسول ﷺ (افتراضًا) **إلى كلام الرواة** !

المغالطة الرابعة : تحول الدين من نصوص ملزمة إلى اختيارات واجتهادات :

فلو لاحظنا تعريف السنة الصحيحة عند الخلف لوجدنا :

أ ـ أن **الجرح والتعديل** (وهو الفن الذى يستخدمه الخلف للحكم على الراوى بالعدالة أو عكسها ، والاتصال والانقطاع) هو **اجتهادات** ، وأخبار متناقلة معظمها متناقض وإلى تاريخ اليوم !

ب ـ أن **فن الدراية** نفسه **تعدل** بمرور الوقت (كتحديد الجهالة مثلاً) وأصبح فى وسع كل متمرس له أن يُضيف وينقص ويعترض ويوافق . . . الخ .

جـ ـ أن الفقه الذى تم بناءه على تلك الروايات **صار** مختلفًا **ومتناقضاً** : فالرجل يُقتل عند أحد المذاهب الأربعة لأنهم اعتبروه محصناً وزنى ، بينما عند المذهب الآخر لا يُقتل لأنه (عندهم) غير محصن . والمرأة تصير مطلقة عند الإمام فلان (من الأئمة الأربعة) بينما

هي غير طالق عند الإمام علان (وأيضا من الأئمة الأربعة) . والسكير يجلد أربعين جلدة عند الإمام فلان ، ولكن الإمام علان يجلده ثمانون . والإمام فلان له فى كل مسألة رأيان : قديم وجديد .

المغالطة الخامسة : توركهم على دلالة ظنية وفاسدة للآية لبناء دين كامل :

فلو **سلمنا** (كافتراض جدلى) **بأن هناك** فى الآية **دلالة على** حجية **الروايات** (التى تحولت إلى سنة عند الخلف ، وألزموا بها النبى ﷺ) ، **فستكون** الدلالة (حتما) **ظنية** (ولا يجادل فى ذلك إلا متعصب) ، وتحتاج إلى دليل آخر قطعى (نصّ) لينتشلها من تلاطم بحار الظنون .

وعلمنا (منذ سطور) أن الدلالة القطعية لـ (وَمَا آتَاكُمْ) هى : القرآن . فأنى لهؤلاء تحميل اللفظ بما لايتحمله فى نفس الوقت الذى يُعرضون فيه عن الدلالة القطعية المذكورة ؟!

ثم كيف يتحصل القطع بدلالة ظنية للآية ؟!

هل يكون الظن (وهو هنا دلالة الآية على ما ذكروه) أساسًا ومصدرًا لما يجب القطع به (من غيبيات وتشريعات) ؟! . . . **سبحان الله !**

❁ ❁ ❁